بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 57 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:**01\11\2023** م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال الكلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُورا﴾.

تقدم الحديث عن العنوان الأول، الولدان.

المحطة الرابعة: المراد من قوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾

الظاهر من كلمات علماء التفسير أنه يوجد رأيان:

الرأي الأول: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ من الخلود، وهو البقاء والدوام، فهؤلاء الذين يخدمون الأبرار ولدان، في نضرتهم وصباحة وجوههم يبقون على هذه الحالة، وليس المقصود من الخلود بمعنى عدم الموت؛ لأنه في النشأة الأخرى لا يوجد موت، فالمقصود من الخلود الدوام على ما هم عليه من صباحة الوجه ونضرته، وهذا زيادة ومبالغة في بيان هذه النعمة، أن هذا الذي يخدم يبقى على ما هو عليه من الصباحة والنضارة وما شابه ذلك. والذي ربما إلى الذهن ابتداء.

الرأي الثاني: أن المقصود من ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي: مقرّطون، أي في آذانهم الأقراط، من الخلدة وهي القرط. فهؤلاء الذين يخدمون ولدان وصفهم أنه في آذانهم الأقراط، وهذا نوع من الزينة.

ربما البعض في تتبعه يقول يوجد أقوال أخرى، مثلاً في التفسير المنسوب لعلي بن إبراهيم القمي، يوجد رأيان آخران:

الرأي الأول: أفاده في تفسير آية الواقعة، فقال: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي مسرورون.

الرأي الثاني: ما ذكره في سورة الإنسان ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ قال: مستوون.

إذاً تارة فسرّ الكلمة بالسرور وتارة فسرّ الكلمة بالاستواء.

فإذاً الأمر لا ينحصر بقولين، بل يوجد أربعة أقوال.

الظاهر والله العالم، أن ما في تفسير القمي خطأ من النسّاخ، وإلا ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ لا بهيئتها ولا بمادتها تدل على السرور أو تدل على الاستواء. ربما كان مقصود الكاتب -مهما كان سواء كان عاي بن إبراهيم أو واحد من القدماء- هو مسورون، فاختلط الأمر على الناسخ، مسور سرور متقاربة الحروف، مستوون مع مسورون متقاربة الحروف؛ لأن مسورون أي تشبه ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ المعنى الثاني أي مزينون بالأساور والحلل وما شابه ذلك.

ولذا نرى أن الفرّاء في كتاب معاني القرآن يقول: "ويقال ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مقرّطون ويقال مسورون".

فعلى كل تقدير يوجد معنيان، معنى الذي هو ظاهر من الخلود والدوام، ومعنى يرجع إلى الحلى والزينة، أعم من أن تكون تلبس في الأذن أو تلبس في المعاصم وما شابه ذلك.

فإذاً لا نسلم أنه يوجد معنى بمعنى مسرورون أو بمعنى مستوون، فالظاهر أنه خطأ من النساخ.

والصحيح والأنسب هو أن نحمل هذه الكلمة على ظاهر معناها، على معناها الشائع، أي يبقون على ما هم عليه من نضرة الوجه وصباحته، لا مجرد أنه في آذانهم أقراط أو في معاصمهم أساور.

هذا المعنى غير ظاهر من الآية الشريفة ابتداء، والأنسب لبيان تمام النعمة هو الدوام والخلود.

المحطة الخامسة: المخاطب بقوله رأيتهم هكذا تقول الآية ﴿إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ تاء المخاطب في رأيت وتاء المخاطب في حسبت.

وهذا يتكرر -هذا السؤال- في كثير من الآيات القرآنية، مثلاً في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[1]، ﴿وَلَوْ تَرى﴾ كثيرة التكرار في القرآن الكريم. هنا أيضاً يبحث فيها عمن هو المخاطب؟ هل هو خصوص النبي صلى الله عليه وآله؟

[1] الأنعام: 27

علماء البلاغة ذكروا عند البحث عن ضمائر الخطاب، أنه كثيراً ما تخرج عن مخاطب مخصوص إلى كل من يتأتى توجيه الخطاب إليه، ففي قوله: ﴿وَلَوْ تَرى﴾ ليس المخاطب خصوص النبي الأعظم ﷺ، بل حال هؤلاء المجرمين ظاهر لأهل المحشر، فكل من يتأتى منه الرؤيا يراهم على هذه الحالة، وهذا أفظع في بيان سوء حالهم، وفي أشعار العرب هذا الشائع، يقول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

إذا أنت، أنت بحسب وضعه اللغوي موضوعة لمخاطب مخصوص مفرد، لكن في هذا البيت من الشعر لا يقصد المخاطب، بل الكريم شأنه أنه إذا أكرم تملكه، واللئيم شأنه أنه إذا أكرم يتمرد، سواء كان المكرِم أنت أم غيرك، فكثيراً ما في اللغة العربية نتجاوز عن المدلول الوضعي للضمير لنقصد منه كل مخاطب، وهذا أبلغ في المدح.

فيما نحن فيه الأمر من هذا القبيل، في قوله: ﴿إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ أي هو جنس المخاطب، كل من يتأتى منه النظر إلى هؤلاء الغلمان يراهم ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُورا﴾ لأنه الضمير من المعارف، والضمير من أعرف المعارف، فلا بد أن يدل على معين، وفي مثل هذا الاستعمال لا يقصد إنسان بعينه، بل كل من يتأتى منه الرؤية.

المحطة السادسة: المراد بحسبانهم ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُورا﴾

هذه الصفة الثالثة، بعد كونهم ﴿وِلْدانٌ﴾ و﴿مُخَلَّدُونَ﴾، من الواضح وهذا يساعد على تفسير ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ بالدوام، ونحن نتكلم عن جماعة يطوفون، في صورة الطواف لا يوجد انتظام، هؤلاء لم يقفوا بصف حتى نقول لؤلؤاً منظوماً، بل حسن التعبير القرآني، إنما قال ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُورا﴾ أي متفرق، اللؤلؤ عندما يتفرق ينعكس بريقه على بعضه البعض، فتصبح صورة في غاية الإشراق، بخلاف ما لو كانت هذه الصورة منتظمة في صف متقارب لا تعطي هذا الانعكاس، بل هنا واحد يضيف وهناك واحد يضيف، وهكذا، في حالة دوران وطواف، فيعطينا هذا الإشراق والبريق، فانعكاس بعضهم على بعض يعطي هذا المنظر الجميل، يقول هؤلاء الولدان في نضارتهم وفي صباحة وجوههم إذا نظرت إليهم تظنهم أنهم تلك الجواهر والدرر المتناثر، والذي ينعكس بعضه ضوءً على البعض الآخر.

هذا تشبيه في صفاء وجوههم وحسن ألوانهم وانتشارهم في المجالس، أن كل واحد من أهل النعيم من الأبرار هناك من يدور عليه بين الفترة والأخرى لكي يسقيه، فهذه الصورة في غاية الروعة وظاهرة لكل من ينظر إلى هذا المجلس؛ لأجل ذلك لا يكون الخطاب إلى شخص معين.

لو كان الخطاب إلى شخص معين، نعم يعطي خلاف المقصود، وهو أنه ربما أن هذا الرائي رآهم هكذا، وربما لو رائي آخر لما رآهم بهذا الشكل، بل هؤلاء برز حالهم بهذه الكيفية، وبهذا الشكل.

فإذاً خلاصة المطلب: أن هذه الآية المباركة عبرت باللؤلؤ المنثور ولم تعبر باللؤلؤ المنظوم، وهذا ما سوف نركز عليه إن شاء الله في البحث القادم في الفرق بين اللؤلؤ المنثور واللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ المكنون. هذه التعبيرات وردت في القرآن الكريم تارة وصف للحور العين وأخرى وصف للغلمان ثالثة وصف للولدان، وهذا ما سوف نقف عنده إن شاء الله في الجلسة القادمة.